مجلة: المنظومة الرياضيـة	ISSN: 2392-5442, ESSN : 2602-540X
مجلة علمية دولية تصدر بجامعة الجلفة_الجزائر	المجلد: 06 العدد: 15 السنة: 2019
تاريخ الإرسال: 12-02-19 تاريخ القبول: 28-02-19	تاريخ النشر: **15-03-2019**

الرياضة بين التربية و الثقافة في زمن العولمة و الاحتراف

د. مسعودان مخلوف

جامعة زيان عاشور الجلفة

د . قصار الماحي

جامعة زيان عاشور الجلفة

د . رقيق ساعد

جامعة زيان عاشور الجلفة

الملخص :

سوف نتطرق في هذا المقال إلى العلاقة الجدلية التفاعلية بين التربية والتربية البدنية، الثقافة و العولمة و الاحتراف الرياضي من خلال رأي الباحث ملقحة ببعض أفكار وآراء بعض الكتاب و المفكرين القدماء و المحدثين لترجمة الواقع الراهن في المجتمع الجزائري وتقديم ولو جزء يسير حول التغيرات الحاصلة في هذا المجتمع على المستوى التربوي و التعليمي و الإشارة إلى الانفتاح على كل الثقافات محلية كانت أو واردة لاسيما ثقافة النشاط البدني الرياضي بمختلف أنواعها خصوصا التربوي و التنافسي وما ارتبط منها بجانب الاحتراف الرياضي تحديدا.

الكلمات المفتاحية: التربية، الثقافة، العولمة، التربية البدنية، الاحتراف الرياضي.

مقدمة :

التربية مفهوم يطلق على كل عملية أو مجهود أو نشاط يؤثر في سلوك الإنسان أو تكوينه، سواء أكان القائم بهذه العملية الإنسان نفسه أم البيئة الطبيعية أم المجتمع الذي نشأ وترعرع فيه، و عليه فإن التربية هي الوسيلة التي تساعد الإنسان في المحافظة على بقائه واستمراره و ذلك من خلال المحافظة على قيمه و عاداته و أعرافه الاجتماعية و نظمه السياسية والاجتماعية و الاقتصادية؛ وهذا يعني أن التربية عملية تسهم في تشكيل وإعداد الأفراد الإنسانيين في مجتمع معين و ظروف زمكانية معينة ليستطيعوا اكتساب المهارات و القيم و الاتجاهات التي تساعدهم على عمليتي التكيف والتفاعل مع البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها.

يعتبر **تايلور** الأب الحقيقي لمفهوم الثقافة كما نتصوره اليوم، حيث عرف الثقافة أنها:" ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة و المعتقدات و الفن و الأخلاق و القانون و العادات وأي قدرات أخرى أو عادات يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في المجتمع"[1]

إن الثقافة بهذا المفهوم هي طريقة الوجود الإنساني بصفة عامة التي لا معنى لها خارج ما يبدعه البشر و خارج العلاقات التي يقيمونها فيما بينهم، وتحدد بالتالي سلوكهم و ردود أفعالهم ونشاطاتهم و أهدافهم، فالبشر يبدعون الفن بكل أشكاله و النظرة إلى العالم و التصورات المتعددة حول الخير و الشر و الجميل و القبيح، يصوغون قيمهم و عاداتهم و تقاليدهم؛ بالتالي فإن الثقافة تكتسب في علاقتها بالفرد طابعا موضوعيا، أي أنها تصنع الإنسان ذاته وتطبعه بطابعها و هذا أيضا ما يؤكده **عابد الجابري** في تعريفه للثقافة على أنها : " المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم و عن نظرة هذه الأمة إلى الكون و الحياة و الموت و الإنسان ومهامه و قدراته و حدوده و ما ينبغي و ما لا ينبغي أن يأمل و هكذا ففي الثقافة و بالثقافة يدخل الفرد البشري حقا في البعد الإنساني للحياة و يسمو عن ما فيه من مقومات بيولوجية محضة، وبالثقافة تتخذ حياته شكلا خاصا و هي تعطيه الجذور و هي التي تموضعه في المكان و الزمان وتجعله حاملا للتراث وهي التي تفتح أمامه إمكانيات و آفاق خاصة يستطيع بها التعرف على العالم و الاحتفاء به"[2]

و خلاصة القول في هذه المسألة هو أن التربية هي التي تصنع الثقافة و لا نكاد نرى فرقا بين الثقافة و التربية.

---

[1] عاطف عطية، **المجتمع و الدين و التقاليد: بحث في إشكالية العلاقة بين الثقافة و الدين و السياسة**، منشورات بروس براس ، لبنان ، ص 32.

[2] محمد عابد الجابري ، **المسألة الثقافية، قضايا الفكر العربي** ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 ، بيروت ، 1994 ، ص ص 212- 213.

1/- علاقة التربية بالتربية البدنية و الثقافة:

تعتبر التربية كل ما يتعلمه الفرد من الولادة إلى الوفاة أي ما يتعلمه في البيت في المسجد أو النادي أو المدرسة، و التربية البدنية هي جزء من التربية العامة تهدف من خلال ممارسة التمارين البدنية المختلفة إلى بناء جسم الإنسان بناء متكاملا ، و هي لا تقتصر على الجانب الفيزيولوجي فحسب بل تتعداه إلى الجوانب النفسية و الروحية و ما دام كل نشاط إبداعي يرتبط بالثقافة فإن النشاط البدني الرياضي يعتبر علما و فنا و ثقافة.

2/- علاقة العولمة بالثقافة:

تقع العولمة في القلب من الثقافة الحديثة و تقع الممارسات الثقافية في القلب من العولمة و هذه هي العلاقة المتبادلة التي سوف أحاول توضيحها و ترسيخها و استكشافها " فالعولمة حسب **جون توميلينسون** ليست المحدد الوحيد للتجربة الثقافية الحديثة و لا أن الثقافة بمفردها هي المفتاح المفاهيمي الذي يفك مغالق القوة الدينامية الداخلية للعولمة"[1]

إذن ليس من باب الإدعاء بأساسات و اقتصاديات العولمة ينتج عنها تقرير ثقافي يتخذ أولوية مفاهيمية لكنه يتمثل في إثبات أن العمليات التحويلية Transformation الهائلة لعصرنا الحديث و التي تصنعها العولمة لا يمكن أن تفهم على نحو صحيح حتى تدرك من خلال المفردات المفاهيمية للثقافة و بالمثل فإن هذه التحولات تعتبر نسيج التجربة الثقافية ذاته، كما أنها تؤثر في إحساسنا بالهوية الحقيقية للثقافة في العالم الحديث، إن العولمة و الثقافة كلتهما مفهومان يتسمان بأعلى مراتب العمومية وهناك خلاف سيء السمعة حول معنى كل منهما و لكن تبقى كل من الثقافة و العولمة مهمة جوهريا للأخرى.

إن العولمة تعني جعل الشيء عالميا كونيا يغطي كافة أنحاء المعمورة دون استثناء و يمكن تصور أسلوب تنفيذ هذا الفعل فهو عمل جبار نظرا لشساعة رقعة تنفيذه و حجم المقاومة التي يتعرض لها.

و حسب الباحث **قصري نصر الدين** فإنه لو تصورنا أن هذه العولمة جيش جرار يسعى إلى تغطية كل شيء من أنحاء المعمورة لكان من الصعب تصور حجمه أو عدده لذا هذا الفعل يتطلب من صاحبه أن يكون ذا قوة جبارة و يمتلك كل أسباب القوة و السيطرة و الحضور و التأثير لذا وجب علينا طرح التساؤل التالي:

هل نحن بصدد مناقشة عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟[2]

---

[1] جون توميلينسون ، **الثقافة و العولمة** ، مجلة عالم المعرفة، 2008، ص 39.

[2] قصري نصر الدين ، أطروحة دكتوراه : **ثقافة التربية البدنية الرياضية المعاصرة و مدى انعكاسها على أنماط الحياة الاجتماعية في المجتمع الجزائري** ، 2008 ، ص 189.

ها نحن بصدد " عولمة الثقافة " و الثقافة هي ذلك الكل المركب و المعقد الذي يشمل العادات و التقاليد و القيم و الدين و الأعراف و القوانين و التي تساعد الفرد على التكيف مع محيطه البيئي و الاجتماعي.

و يمكن هنا إذن أن نتصور مدى صعوبة تصدير ثقافة أو فعل ثقافي واحد فهو مشروع ضخم يحتاج إلى عمل كبير و إمكانيات أخرى و هذا يستدعي وجود ترسانة مادية وبشرية مشرفة و مؤمنة برسالتها و صارمة في أدائها مهما كانت التحديات و الحواجز الحقيقية و الوهمية في آن واحد.

و مما لا شك فيه أن هذا المشروع يكون من منتج للثقافة أي مصمم لنمط عادات وتقاليد و لغة و أنماط حياتية و أشكال سلوكية و كل ما يتعلق بصنع مجتمع عالمي يدين لثقافة واحدة موحدة، ثم يأتي المستهلك لها في الدور الثاني و هذا يتطلب أولا مجتمع مستعد للتنازل وإلقاء كل الترسانة الثقافية المتوارثة و المتواترة عبر الحقب الزمنية و التاريخية لهذا المجتمع.

و هذا ليكون بعد ذلك مستهلكا جيدا و مقلدا بارعا في استيعاب معطيات هذه الثقافة ومنتجاتها و كل ما تقدمه للفرد مع وجود إيمان بها و ثقة بما تقدمه و اعتبارها الأصلح و الأفضل في نظره.

و يأتي في الدور الثالث الوسيلة التي تربط بين هذا المنتج و المستهلك للثقافة و هنا يمكن تصور قوة و غزارة الإنتاج و الدعاية له في آن واحد، و يمكن إدراج سلاح جبار و هو التقنية التي يقول فيها المنتج " العلم للجميع و التقنية لنا " و هذا ما يوضح مدى تأثيرها و أهميتها في تحقيق هذا المشروع الكبير فترسانة الأقمار الصناعية تضمن الدعاية و الترويج عن طريق وسائل الإعلام بكثافة أنواعها و الشركات المتعددة الجنسيات في ظاهرها تضمن إنتاج و توفير السلع بأنواعها وأشكالها ليأتي دور التنظيمات العالمية الفاعلة كمنظمة التجارة العالمية والصندوق الدولي وغيرهما من وسائل الضغط التي تحمي المصالح الدولية في ظاهرها وتسير حسب مصالح الدول الكبرى في باطنها و تلعب دور الشرطي الذي يتلقى أوامره من قادته و ينفذ عقوباته على باقي رعاياه البسطاء.

3/- مشروع ثقافة العولمة:

إن ثقافة العولمة هي ثقافة مهيمنة مسيطرة طاغية راقية و حسب رأيي هي أكثر دواما مقارنة بغيرها، لكونها تكتلك ترسانة هائلة من القدرات التقنية و البشرية و فرضت فرضا لتصبح ثقافة عالمية رغم ما نجده من جيوب مقاومة لها فما طبيعتها ؟ و ما مصيرها ؟

إنها ثقافة الغرب و منبعها الولايات المتحدة الأمريكية إذن هي نمط معيشة وحياة المجتمعات الغربية فثقافة الماكدونالد مصدرها أمريكا فسميت بحضارة الوجبات السريعة ولن يحظى هذا على درجة اختيار هذا النمط الغذائي و طريقة إعداده و تناوله حتى أصبحت المجتمعات كافة

تعتبر هذا النمط غاية منشودة، و تحقيقها يعبر عن تحضر المجتمعات و تطورها بل حتى مسميات هذه الوجبات غير قابلة للترجمة بل تبقى بلغتها الأصلية و هي الانجليزية على سبيل المثال : «فاست فود ، همبرغر ، بيتزا ، تشيز،...إلخ»

و لكن ماذا فعل هذا النمط بالمجتمع الجزائري؟

في عصر العولمة و اللامركزية و ما شهده العالم من تطورات هائلة في مجال تكنولوجيا الاتصالات و المعلومات و الآفاق المفتوحة أصبح العلم أشبه صغيرة و أصبحت الجزائر كغيرها من الدول النامية تواجه إشكالية التعايش و التفاعل مع هذا العالم المتغير من خلال تعليم و تأهيل الفرد الجزائري القادر على التفاعل الايجابي و التعامل الواعي مع هذه التطورات و محاولة تحقيق المعادلة الصعبة التي تقتضي مواكبة و مسايرة تحديات العولمة، و في الوقت ذاته الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري و الواقع أن القضايا و الإشكاليات التي تطرحها العولمة على عملية التنشئة الاجتماعية التي لها الدور الأساسي و الخطير و المحك الذي تبنى عليه سيرورة و نماء المجتمعات و تطورها، و دور الأسرة و المؤسسات الاجتماعية المختلفة و التي تلعب دور التنشئة والتربية مما يساهم في عملية النقل الثقافي بين الأجيال السابقة و الحالية و اللاحقة أو التثاقف لتعاقب الأجيال لم تلق الاهتمام الكافي من البحث و الدراسة و كذا الاهتمام، مما ينتج قطيعة ثقافية بين الأجيال السابقة و اللاحقة لكونها تترك المجال لثقافة العولمة التي تسهم في زيادة التباعد و التفاوت الاجتماعي و الاقتصادي و التعليمي و المعرفي بين أفراد المجتمع، كما أن الآثار الاقتصادية المصاحبة للعولمة قد تدفع الدول النامية و منها الجزائر إلى خصخصت بعض مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالإعلام و التعليم أو على الأقل بعض المدارس و الجامعات و بالتالي تحجيم الرؤى التربوية وفوق كل شيء تحديد رؤية الأهداف التربوية، إذ تصبح الأهداف الإنسانية و الثقافية و الاجتماعية للتعليم على وجه الخصوص بالنسبة للمعايير ذات الطابع الإقتصادي.

لقد انعكست هذه الأسباب على ثقافة و قيم المجتمع فحدث ما نستطيع اعتباره انحسار لكل أنواع المأكولات و الألبسة التقليدية و المحلية ولو كانت معاصرة و استبدالها بأخرى مستوردة ذات طابع غربي قد لا يمت لعادات مجتمعنا بصلة و المعيار الأساسي في الحكم على جودة هذه المنتوجات سواء تمثلت في الأكل أو اللباس كونها مستورة من دول الغرب أي : أمريكا، وأوروبا الغربية، مما يؤدي مستقبلا إلى تغير العادات و التقاليد و القيم و العلاقات أي تغير ثقافة الناس إراديا أو قسريا، و هذه الثقافة الجديدة ليست نتاج للتطور الاقتصادي و الاجتماعي لهذه المجتمعات الأمر الذي يؤدي إلى تشويش الشخصية الثقافية و إلى فقدان التوازن المادي و النفسي أو تهديده عند هذه المجتمعات، و أكثر من هذا فهو يؤدي إلى تشويش إن لم نقل هدم نظام قيم الذوق و الوعي و السلوك بحيث يسهل تكريس نوع من السلع و الخدمات و الأفكار و تعميم ثقافة الاستهلاك المعتمدة على تقنيات إعلامية عالية بالصوت و الصورة و التي لا تخلق حاجات استهلاك فحسب بل تكون أفراد لا يفكرون إلا بكيفية إشباع هذه الحاجات الاستهلاكية المتنامية.

فالملاحظ الجيد للمجتمع الجزائري يجد أنه تغير تغيرا كبيرا على مستوى العادات و التقاليد إذ أننا لو نشاهد هذا المجتمع في صور تلفزيونية تعتقد للوهلة الأولى أنك تشاهد مجتمعا غربيا خصوصا في المناطق الشمالية في طرق اللباس و الأكل و حتى طرق الحوار إذ أن اللغة الأكثر استعمالا هي اللغة الفرنسية كما انتشر هذا النوع من الثقافة ليعم معظم عواصم الولايات الأخرى مما جعل المجتمعيتهجن بمصطلحات و ألفاظ متداولة بين فئات الجيل الحالي تختلف عن الجيل السابق له، و هذا لا ينفي وجود ثقافات ذات صبغة - تظهر تقليدية – وافدة من مناطق عربية و إسلامية مختلفة عن طرق اللباس التقليدي الخاص بالمجتمع الجزائري بصفة خاصة أو المجتمع المغاربي بصفة عامة.

4/- الاحتراف و الرياضة التنافسية:

وفق مبادئ المنافسة و الاحتراف في المجال الرياضي فقد تحول الفرد من الاغتراب إلى الغربة، بمعنى من اغتراب الأبدان إلى غربة الأوطان فوفق نظرية الصراع فإن الإنسان عندما يتطور عن طريق الممارسة الشاقة و القاسية للتمارين الرياضية من أجل رفع ما يسمى باللياقة البدنية و التي هي فوق كل اعتبار في النسق الفلسفي البراغماتي تؤدي بالإنسان إلى أن يتحول إلى آلة بالمفهوم التايلوري و مما يزيد الوضع تأزما بالنسبة للرياضيين في عالمنا المعاصر هو هاجس الاحتراف الذي دوافعه دوافعه اقتصادية و حوافزه مادية بحتة مما يولد إلى إضافة إلى حالة الاغتراب بالمعنى **الماركسي** إلى حالة غربة الوطن نتيجة التنقلات بين الأندية و القوانين الصارمة في علم الاحتراف مما يولد أجسادا بلا أرواح بالنسبة لهاته الفئات التي تدعى بالرياضيين المحترفين مما يشعرهم كما ذكرنا سابقا إلى حالة من الشعور بفقدان الهوية و تغير في الثقافة و ظروف الحياة الاجتماعية و الاقتصادية،...إلخ.

و من أجل توضيح ما ذكر آنفا سنطرح سؤالين:

- كيف تولد الرياضة الاغتراب و تعمقه؟
- كيف تنمي الرياضة المصالح التجارية؟

يرى باحثوا نظرية الصراع أن الرياضة من شأنها أن تسهم في اغتراب الناس عن أجسامهم، فهي تتطلع إلى تحطيم الرقم الزمني و المسافة مما يجعلها تنظر إلى الإنسان كآلة. و يعتقد أصحاب هذه النظرية أن قواعد اللعب المقننة و البيئية الصارمة المنظمة للرياضة تقتل العفوية و الحرية و التلقائية و الشخصية الخلاقة المبدعة في اللعب، فالجسم بالنسبة للرياضة مجرد أداة أو وسيلة، حيث يشبه الآلة المطلوب منها إنتاج أقصى طاقة و أكبر شغل، فلم يعد الجسم يمر بخبرة أنه مصدر لتحقيق الذات و البهجة في حد ذاتها، ذلك لأن الانجاز الذاتي و البهجة يتوقفان على ما تم عمله بالجسم، ولم يعد الإنسان يخبر مشاعر الرضا في الرياضة إلا عبر

الفوز بتقاليده المعقدة و قوانينه الصارمة.

و قد سمى الاجتماعي **"لويس ممفورد " Memford . L**هذا الإستاد (المضمار) بأنه الصناعة المؤسسة لإنتاج الجري و الوثب و الآلات التي تلعب كرة القدم و السلة و .... إلخ

النزعة التجارية و الاستهلاكية: يشير أصحاب هذا التيار إلى أن الرياضة المعاصرة سيطرت عليها الصبغة المادية و أصبحت أحد أكبر مجالات تسويق البضائع و المصالح التجارية، و لقد فسر البعض من المفكرين في المجال الرياضي ذلك بالارتقاء الملحوظ للرياضة بأن المصالح الرأسمالية كانت وراءه ويجتهد المجتمع الرأسمالي في خلق و افتعال احتياجات غير ضرورية للإنسان من أجل توسيع دوائر تسويق السلع، و تعمد المجتمعات الاستهلاكية إلى توفير ذلك في إطار أنشطة تتطلب الجهد و ليس الراحة كما في الرياضة، فتصنع له أدوات رياضية منزلية باهظة الثمن موهمة إياه بأنها تغنيه عن المشاركة الرياضية في الملعب.

و على العكس ينظر التيار البراغماتي إلى أن تطبيق نظام الاحتراف الرياضي على المستويين المحلي و الدولي له ايجابيات على الرياضة التنافسية و منذ وجدت المؤسسات الرياضية التي تسير وفق القواعد الجيدة و الضوابط و اللجان التي تصدر اللوائح الخاصة، و بتبني الأفكار الجيدة التي تنهض بنظام الاحتراف تحققت الأهداف و الغايات و أصبح الاحتراف صناعة تسير وفق ضوابط كإصدار اللوائح و وضع الشروط التي تخص تعاقد اللاعبين المحترفين و تنقلاتهم بين الأندية الأخرى وبيان نوع هذا الاحتراف و تشجيع اللاعبين عليه، و تقديم الدعم المالي الملائم لهم و تسيير إجراءات عقود اللاعبين و تنقلاتهم مما يزيد في التنافس و الإبداع بين اللاعبين الذين يقدمون المواهب الرياضية التي تصل إلى منصات التتويج و تكسبهم حب الجماهير، وينعكس بالأثر الايجابي على تحسن أداء الأندية الرياضية و ازدهار الرياضة التنافسية، و الاحتراف يجعل من الرياضة التنافسية حرفة لها مبادئ و غايات يحرص اللاعبون على تطبيق مبادئها و لوائحها والتقيد بأخلاقها السامية، ولكي ينجح هذا الاحتراف ينبغي أن تكون لجان نظام الاحتراف ذات كفاءة عالية من الوعي الرياضي و التربوي كي تعالج السلبيات و تكتشف المواهب الرياضية و تهتم بها.

نستخلص من خلال عرض مختلف التبادلات و التفاعلات بين مختلف العناصر أن العلاقة بينهم متماسكة و أن مستويات التأثير متبادلة إلا أنه ليس من السهل إدراك مستويات تأثيرها بسهولة و وضوح لأنها مدرجة ضمن حراك بطيء و مستمر للمجتمع و يستدعي كشفها توفير وسائل معتبرة وفترات زمنية طويلة يقاس عمرها بعمر الأجيال لا الأفراد.

المراجع:

1/- جونتو ميلي نسون، **الثقافة والعولمة**،مجلة عالم المعرفة، .2008

2/- عاطف عطية، **المجتمع و الدين والتقاليد**: بحث في إشكالية العلاقة بين الثقافة و الدين والسياسة، منشورات بروس براس ، لبنان .

3/- محمد عابد الجابري، **المسألة الثقافية، قضايا الفكر العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1994 .

4/- قصري نصر الدين،**أطروحة دكتوراه : ثقافة التربية البدنية الرياضية المعاصرة ومدى انعكاسها على أنماط الحياة الاجتماعية في المجتمع الجزائري**، 2008 .